تفسير إبن كثير

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

يقول تعالى : (إلا تنصروه) أي : تنصروا رسوله ، فإن االله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه ، كما تولى نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) [إذ هما في الغار]) أي : عام الهجرة ، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه ، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ، ثم يسيرا نحو المدينة ، فجعل أبو بكر - رضي االله عنه - يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلى الرسول - عليه السلام - منهم أذى ، فجعل النبي - صلى االله عليه وسلم - يسكنه ويثبته ويقول : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين االله ثالثهما ، كما قال الإمام أحمد :حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي - صلى االله عليه وسلم - ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت

قدميه . قال : فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين االله ثالثهما .أخرجاه في الصحيحين .ولهذا قال تعالى : (فأنزل االله سكينته عليه) أي : تأييده ونصره عليه ، أي : على الرسول في أشهر القولين : وقيل : على أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول لم تزل معه سكينة ، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ؛ ولهذا قال : (وأيده بجنود لم تروها) أي الملائكة ، (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة االله هي العليا)قال ابن عباس : يعني (كلمة الذين كفروا) الشرك و (كلمة االله) هي : لا إله إلا االله .وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري - رضي االله عنه - قال : سئل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل االله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة االله هي العليا فهو في سبيل االله .وقوله : (واالله عزيز) أي : في انتقامه وانتصاره ، منيع الجناب ، لا يضام من لاذ ببابه ، واحتمى بالتمسك بخطابه ، (حكيم) في أقواله وأفعاله .